حتى نحصد سلمًا ما زرعناه قتالاً

جورج ناصيف

قد يبدو الحديث، الآن، عن «حرب رمضان الفلسطينية»، حديثاً متأخراً، من الزاويتين السياسية والصحافية، ينتسب إلى ماض تجاوزته التطوّرات اللاحقة.

لكن تأمّلاً مدققاً في الموضوع، يكشف لنا أن هذا الإنطباع مخادع وظاهري فالحرب الفلسطينية ـ الإسرائيلية السادسة هي اليوم، في نتائجها المباشرة وانعكاساتها المتعدّدة الجوانب، وفي سلسلة التفاعلات التي أطلقتها، أشد راهنية مما تبدو لدى المقاربة الأولى.

وإذا كان غرضنا، هنا، الإحاطة السياسية بالمواجهة العسكرية، أهدافاً وحصيلة وآفاقاً، واستجلاء طبيعة المرحلة التي افتتحتها، فلا بد، على سبيل المدخل، من استرجاع سريع للعناصر التي شكّلت المناخ الذي تمت المواجهة في ظله.

فلقد جاءت المواجهة في ذروة مناخ إسرائيلي، شهد ثلاثة تطوّرات تغذي بعضها بعضاً:

أولها، إنتصار جلي لتكتّل الليكود، أثر انتخابات كشفت عن الميل المتعاظم، في المجتمع الإسرائيلي، نحو التطرّف والتشدّد اللذين يجسّدهما برنامج التكتّل وشخصية مناحيم بيغن، التوراتية، «النبوية»، ذات النبرة «التاريخية».

وثانيها، نجاح التكتّل الحاكم، في تقديم عرض قوة، يستعيد أجواء «الخوارق» العسكرية، تمثل في تدمير المفاعل النووي العراقي، دونما أكلاف بشرية أو مادية إسرائيلية مقابلة.

أما ثالثها فتصاعد في وتيرة تهديدات بيغن، باجتياح قواعد المقاومة، العسكرية،